بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المدخل

الحمد لله رب العالمين، أمر أن يطاع فلا يعصىٰ وأن يشكر فلا يكفر، والصلاة والسلام علىٰ أكرم خلق الله علىٰ الله محمد بن عبد الله ﷺ وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد يعيش الإنسان طوال حياته معتقِدًا في عقيدة ما يظن الخير كله فيها، ومعتنقًا لفكر ما يحيا ويموت من أجله فتتجه أفكاره إلىٰ الحرب ضد كل مالا يؤمن به وينافح في سبيله، ربما يكون علىٰ صواب وربما يكون علىٰ خطأ، فإذا حاولت عن طريق الحوار والمناظرات والندوات أن تؤكد له علىٰ اعتقاده المستقيم وأن تصحح وتوضح له المفاهيم كنت له صديقًا حميمًا في النقطة الأولىٰ وعدوًا في الأخرىٰ، ولذلك كان الحل أن تضع بين يديه الثوابت والأصول والقواعد والأركان عن طريق النص الثابت الصحيح والشرح بالإجمال أولاً ثم بالتفصيل في كتاب يصحبه في حلِّه وترحاله ويفكر فيه في يقظته ومنامه، كلما قرأ حرفًا عاود النظر فيه بعد ذلك مرات ومرات حتىٰ يقوده الدليل الصحيح والبرهان الساطع البيان إلىٰ الإيمان واليقين فتكون بذلك قد أخذت بيديه إلىٰ عالم الخيرات والحسنات وانتزعته من عالم الذنوب والموبقات، فأنت في هذه الحال قد طبقت منهج الله ﷻ في خلقه الذي جعلك خليفة له في أرضه.

ومن خلال عنوان عام يسمىٰ (برقيات قرآنية ونبوية في توضيح بعض المفاهيم الإسلامية) نحاول التوضيح والبيان، وعلىٰ سبيل التفصيل ترىٰ هذين العنوانين:

1- السِّلْم الأسري في ضوء المنهج القرآني «رؤية جديدة».

2- ألقاب الصحابة الكريم ومعايير الاختيار في ضوء الإدارة النبويَّة.

وبعد، فما أجمل أن يهدي الله على يديك رجلاً تشعر من خلاله بلذة الحياة الدنيا ونعيم الحياة الأخرى، فقد تنظر إلى الجنة وأنت في الدنيا فتجد لذة الضمير الهادئ والنفس الآمنة المطمئنة التي أدت دورها وبذلت الغالي والنفيس في سبيل رفعة دينها ورضا ربِّها وهدي نبيِّها ﷺ الله نسأل أن نكون منهم.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

السِّلْم الأسري في ضوء المنهج القرآني

«رؤية جديدة»

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، أمان الخائفين، وملاذ الحائرين ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [يونس: 25]، والصَّلاة والسَّلام علىٰ الصادق الوعد الأمين، الدَّاعي إلىٰ سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة -محمد بن عبدالله ﷺ- أفضل العابدين وإمام المتقين وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فانطلاقًا من نبذ النَّزعة الفرديَّة الذَّاتية التي تحرص علىٰ (الأنا) في مختلف أساليب الحوارات، ولا تتجاوب إلا مع ضمير المفرد المعظِّم نفسه إلىٰ تغليب المصلحة الجماعية التي تبغي التوحِّد ولمَّ الشمل، وهجر التمزق والتشرذم يأتي السِّلم الأسري الذي تتعالىٰ فيه لغة العقل والحكمة، والذي يبغي إقامة الصرح وتشييده حتىٰ وإن تغيرت فيه المفاهيم والمناهج وتعدَّدت الرؤىٰ.

فالكيان الأسري ليس نزاعًا علىٰ سلطة أو فرض سيطرة أو سباق يهتف له الجميع في حالة الفوز وإحراز كأس البطولة، وإنما هو عقد تصالح وتعايش سلمي وحوار حضاري، وأمن وأمان تقرُّ به الأعين وتسكن إليه النفوس، فتحقيق الاستقرار غايته، وغرس بذور المودة والوئام أغلىٰ أمانيه، فهو الميثاق الغليظ الذي ينبغي أن تحفظ حرماته وتراعىٰ حقوقه، وتلتزم قواعده المحكومة بالمنهج الإلهي، والذي تتمثل آياته في كتاب الله ﷻ وسنة نبيه المعصوم -محمد ﷺ-.

فإذا أردنا بناء أسرة مسلمة تؤسس دعائمها علىٰ التراحم والتوادِّ والإخلاص والتحابِّ، ومن ثم تكون لبنة طيبة في البناء المجتمعي كان لابد من فتح باب

المناقشة الهادئة بأسلوب الحوار البنَّاء دون أن تتعالىٰ الأصوات أو ترتفع الصرخات، فالقضية في هذا الإطار ليست لبيان حق مَنْ علىٰ مَنْ، أو تمكِّن كل واحد من عرشه الذي يسعىٰ جاهدًا لاعتلائه علىٰ حساب الطرف الآخر، وإنما هي قضية بناء صرح أسري علىٰ أسس علمية صحيحة وأطر مستقيمة، يتحقَّق في كل إطار منها كل معاني السلميَّة، قادر علىٰ تخطي النكبات، لديه العزيمة القويَّة علىٰ مواجهة الأزمات، لا يضعف أو ينهار أمام أول محطة من محطات الابتلاء والاختبار، بل يظل صامدًا صمود الجبال الرواسي أقوىٰ وأعظم من قيل وقال.

ولكن الواقع في العصر الحديث يريد أن يحوِّل الأسرة المسلمة إلىٰ جملة من التقاليد والأعراف والعادات البالية دون سند من تشريع أو منهجية واضحة، بعضها آت من نزعات جاهلية وأخرىٰ استيرادات غربية، فتقع في براثن الضَّلال والجهالة فلا تجد يدًا تحنو عليها أو قلبًا يرق لها، فتظلم هذه وتلك التشريعات الإسلامية التي تحافظ علىٰ كيانها وترابطها، وتدفع بها نحو سُلَّم المجد الدنيوي والأخروي، فتفقد بذلك هويتها وسلميتها وأمنها وأمانها؛ وذلك لأنها قبلت هذا الواقع بسلبياته وإيجابياته دون فصل بينهما.

فالحقُّ الذي لا حقَّ غيره يشهد به الواقع الحقُّ ويؤيِّده بعيدًا عن الشعارات البرَّاقة والدَّعوات الزائفة «أن الإسلام قد عزَّ وساد في الماضي، حين عضَّ المسلمون بالنواجذ عليه، فاتخذوه لحياتهم شرعًا ومنهاجًا، وأقاموا بيوتهم علىٰ التَّقوىٰ، وصانوا نساءهم عن التبذل والاختلاط، ومن ثم فإن السَّبيل إلىٰ استعادة مجد الإسلام، يجب أن يبدأ من حيث انتهت محاولات أعداء الإسلام، فلا تصرفنا مشاكل السِّياسة والحرب عن العمل في نفس الوقت لإعادة بناء الأسرة علىٰ القيم الفاضلة، والتقاليد الكريمة وتحصينها من عوامل الهدم والفساد»[1].

وقد قدَّم المنهج القرآني كثيرًا من الضوابط والأطر التي تقيم صرح الأسرة المسلمة وتحافظ علىٰ سلميتها بشكل لا لبس فيه ولا غموض، رافعًا راية

(1) أهداف الأسرة في الإسلام والتيارات المضادة. حسين محمد يوسف ص17 - دار الاعتصام بالقاهرة.

(المعروف) في إدراك هذه الغاية وتحقيق هذا الهدف، ولكن ما نحتاج إليه هو التفعيل والتأثير دون تهاون في الأداء أو تفريط في رعاية الحقوق، وذلك حتىٰ يظلَّ رباط الزوجية معصومًا من الخلاف والشقاق، ومحفوظًا بحفظ الله ﷻ له، تحيط به السَّعادة في كل اتجاه، ويرفرف علىٰ جنباته الأمن والهدوء والاستقرار.

والمجتمع الإسلامي الذي نبتغيه ونرتضيه هو هذا المجتمع الذي يحيا جميع أفراده في تعايش سلمي لا مجال فيه للعداوة والشَّحناء والبغضاء، تعلوه راية الرفق والتسامح، ومن ثم يكون رسولاً وسفيرًا إلىٰ الدُّنيا كلها، يُذكِّر الجميع بحقيقة هذا الدين وسلميته، ومن ثم كانت البداية مع السِّلْم الأسري، خاصَّة عندما ترسم معالمه وفق المنهج القرآني.

والباحث يفتح الملفَّات الخاصة بهذه القضية ويناقشتها بهدوء وسلميَّة تامة، أملاً في إحيائها بعدما تلاشت في ظل واقع هيمنت عليه الصراعات والمعارك الطاحنة، ورغبة في بثِّ روح التفاؤل المشرق -وإن كان الغد لا يبشر بذلك-، فأسلافنا الكرام قد صرَّحوا بحقيقتها وطبَّقوا مفهومها علىٰ أرض الواقع فخرجوا بإسلامهم من حدود مكَّة والمدينة المنورة إلىٰ كل مكان أشرقت فيه الشمس وغربت، ونحن علىٰ دربهم نسير فقد نهتدي في يوم ما إلىٰ الصراط المستقيم.

وقد قدمت لهذه الملَفَّات القرآنية بتمهيد عنوانه (السِّلْم والأسرة. دلالات وأهداف)، ثم تضمَّن البحث أحد عشر ملفًا، لكل ملفٍّ عنوان خاص به، ثم الخاتمة وفيها أهم نتائج البحث، وذلك كله تحت عنوان: (السِّلْم الأسري في ضوء المنهج القرآني. رؤية جديدة).

أما الملفَّات الأحد عشر فهي:

الملفُّ الأول: سِلم السَّكن والمودة والرحمة.

الملفُّ الثاني: سِلم المعاشرة بالمعروف.

الملفُّ الثالث: سِلم القوامة.

الملفُّ الرابع: سِلم تعدُّد الزَّوجات.

الملفُّ الخامس: سِلم الإنجاب.

الملفُّ السادس: سِلم الصُّلح الداخلي.

الملفُّ السابع: سِلم الصُّلح الخارجي.

الملفُّ الثامن: سِلم الطَّلاق والخلع.

الملفُّ التاسع: سِلم العدَّة.

الملفُّ العاشر: سِلم العودة إلىٰ عش الزوجية.

الملفُّ الحادي عشر: سِلم الوفاء.

وبعد، فالدَّعوة إلىٰ السِّلْم الأسري وفق المنهج القرآني ليست من باب الخضوع أو الذِّلَّة والاستكانة بل هي رسالة إلىٰ التعايش الآمن والحوار المثمر المفيد، والتصالح علىٰ المبادئ والأصول التي تضمن الحياة المستقرة الهادئة، والتي لا تعبث بحياة الفرد أو ممتلكاته، وبالتالي لا تعرض الأمة إلىٰ الانهيار والضياع بل تظل مرفوعة الهامة في كل زمان ومكان.

فإذا تسرَّب اليأس إلىٰ قلوب بعض المسلمين، وانهارت أحلامهم وأحسُّوا بضياع أجمل سنوات أعمارهم فلا أذكرهم بكلمات وعبارات عشوائية تقرأها عيونهم وتردِّدها ألسنتهم ولكن تنساها ذاكرتهم، ولكن أذكِّرهم بكتاب ربِّهم الذي صنع الرِّجال وربَّىٰ النساء والأولاد وغيَّر وجه التاريخ بأكمله، وذلك من خلال مبادئ وقواعد وأصول سطَّرها ولقَّنها وفهمها، حفظت الإنسان من شرور نفسه ونزعات هواه وشيطانه، وأصَّلت للتعامل مع أسرته فكانت أجمل غرس في أطيب أرض.

«والحقيقة التي لا شكَّ فيها أن سَّر قوة العالم الإسلامي في عصوره الزاهرة، وسرَّ مقاومته للفناء في عصور الانحطاط إنما هو في بقاء الأسرة معتصمة بتقاليدها العريقة سليمة من التحلل والفساد، وهو ما فطن إليه أعداء الإسلام فأخذوا يصوِّبون سهامهم إلىٰ الأسرة، وينسبون إليها تأخُّر المسلمين وضعفهم كأن القوم يشفقون

علينا، ويحرصون علىٰ تقدُّمنا ورقينا، ولا يعملون بكل وسيلة لاحتلال بلادنا، واستنزاف خيراتنا، واستئصال شأفتنا»[1].

فهذه رسالة حبٍّ وتعارف أهديها لكل نفس مسلمة علىٰ وجه العموم ولكل أسرة مسلمة علىٰ وجه الخصوص أن تقبلها وتقرأ سطورها بسلميَّة تامَّة، وأن تحاول أن تتجاوز من خلالها كل التحدِّيات والأزمات ما دمنا نهدف إلىٰ التطلُّع إلىٰ مستقبل أفضل.

فإذا أردنا تحقيق السلميَّة الأسريَّة والحفاظ عليها فلابد من تفعيل هذه التشريعات الإسلامية، وإعادة فهمها بصورة أفضل وأوضح، ثم محاولة تطبيقها علىٰ أرض الواقع؛ وذلك لن يكون إلا عن طريق وضعها في صورة قدسية الشَّعائر التي يثاب فاعلها ويعاقب تاركها.

فهناك فرق كبير بين مَنْ فقد الدَّواء ومَنْ فقد الأمل، فإذا أمكن تشخيص الدَّاء يمكن أن نصل إلىٰ الدواء ما دام في الجسد حياة، وما دام القلب ينبض بذكر الله، ولكن اليأس خضوع واستسلام، وهروب من عالم الواقع إلىٰ عالم الخيال والأوهام، والأمل باق في الله ﷻ ما بقيت الحياة.

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: 15].

(1) السابق ص9، 10.

تمهيد

(السِّلْم والأسرة. دلالات وأهداف)

قبل فتح الملفَّات القرآنية الخاصَّة بالسِّلْم الأسري كان لابد من تقديم موجز خاص بالسِّلْم والأسرة في محيط الدَّلالة اللغوية حتىٰ ننطلق من خلاله إلىٰ استنباط الدَّلالة الاصطلاحية، يليه إشارات عن أهداف الزواج وغاياته باعتباره اللبنة الأولىٰ في البناء والتكوين الأسري.

ذكرت معاجم اللغة: السِّلم والسَّلم: الصُّلح، بفتح وبكسر، يذكَّر ويؤنَّث، والسِّلْم: المسالم. تقول: أنا سِلم لِمَنْ سالمني. وقوم سِلْم وسَلْم: مسالمون، وكذلك امرأة سِلْم وسَلْم وتسالموا: تصالحوا[1].

فـ «السين واللام والميم معظم بابه من الصِّحة والعافية، ... فالسَّلامة: أن يسلم الإنسان من العاهة والأذىٰ. قال أهل العلم: الله -جلَّ ثناؤه- هو السَّلام؛ لسلامته مما يلحق المخلوقين من العيب والنقص والفناء.

قال الله جل جلاله: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: 25] فالسَّلام الله جلَّ ثناؤه، وداره الجنَّة. ومن الباب أيضًا الإسلام، وهو الانقياد؛ لأنه يَسْلم من الإباء والامتناع. والسَّلام: المسالمة ...»[2].

وأما عن الأسرة فقيل: هي الدِّرع الحصينة. وأُسْرة الرجل: عشيرته ورهطه الأدنون لأنه يتقوَّىٰ بهم. والأسرة: عشيرة الرجل وأهل بيته[3].

---

(1) لسان العرب لابن منظور الإفريقي. تحقيق. علي عبد الله الكبير وآخرين (س ل م) 3/ 2079 - طبعة دار المعارف.

وينظر: مقاييس اللغة لابن فارس. تحقيق. عبدالسلام محمد هارون، 3/ 91 - دار الجيل - بيروت - الطبعة الأولىٰ 1411هـ-1991م، والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصبهاني ص351 - مكتبة الأنجلو المصرية 1970م.

(2) مقاييس اللغة 3/ 90.

(3) لسان العرب (أ س ر) 1/ 77، 78. =

«وتتدرج دوائر الأسرة في الاتِّساع من فخذ إلىٰ بطن إلىٰ عشيرة حتىٰ يشمل قومًا بأجمعهم أو قبيلة بأكملها أو شعبًا بأسره. فالقوم أو القبيلة أو الشعب ألفاظ تتداخل معانيها وتتشابه، وغالبًا ما يدل معناها علىٰ جماعة يصل أفرادها رابطة وآصرة النسب ... وقد أصبح استعمال لفظ الأسرة حقيقة في الجماعة الصغيرة التي يربط بينها رباط الدَّم والنسب، فإذا ما أطلق انصرف إلىٰ الزوجين ثم يدخل معهما فروعهما وأصولهما وأحيانًا الحواشي غير الفروع والأصول. وللاستعمال الغالب الذي صار حقيقة نستطيع أن نعرِّف الأسرة بأنها الجماعة الصغيرة التي نواتها رجل وامرأة ربط بينهما الزَّواج برباطه المقدس حفظًا للنوع الإنساني وتثبيتًا للقيم الإنسانية واستمرارها، وإذًا لا يكون تكوين الأسرة إلا بالزَّواج، ولا تعتبر الأسرة أسرة إلا به... وكلما صار الترابط قويًّا بين أفراد الجماعة صغيرة أو كبيرة كان إطلاق الأسرة عليها أقرب إلىٰ الحقيقة وأصدق في الاستعمال، وكلما كان الترابط ضعيفًا كان هذا الإطلاق أبعد عن الحقيقة وأكثر تجاوزًا في الاستعمال؛ فإن الأسْر -وهو أصل مادة الكلمة- معناه القوَّة والشدَّة، ومن هذا المعنىٰ يكون الاستدلال علىٰ حقيقة معنىٰ الأسرة، ويكون القرب من هذه الحقيقة أو البعد عنها في الإطلاق والاستعمال»[1].

فالصُّلْح هو عنوان السِّلْم، والأسرة بمعناها الشائع هي عنوان الجماعة الصَّغيرة التي تجمع بين الزوجين والأولاد، والجمع بينهما في رباط واحد يؤدي إلىٰ استنباط هذه الدَّلالة الاصطلاحية التي تعني التَّصالح السِّلمي والرُّوح الطيبة التي تهيمن علىٰ جميع أفراد الأسرة فتهبها الأمن والأمان والهدوء والاستقرار، وتُفَعِّل في النفوس الصفاء والودَّ والإخلاص، خاصَّة إذا ما أضيف إليها مصطلح (الإسلامي) فتحاط حينئذ بسياج من القواعد والأصول والمبادئ التي تجمعها

= وينظر: مقاييس اللغة 1/ 107، وتاج اللغة وصحاح العربية للجوهري. تحقيق. أحمد عبد الغفور عطار 2/ 579 - دار العلم للملايين - الطبعة الثالثة 1404هـ-1984م.

(1) الأسرة (التكوين . الحقوق والواجبات) دراسة مقارنة في الشريعة والقوانين د. أحمد حمد ص15 - الطبعة الثانية 1406هـ-1986م.

وتحافظ عليها، والتي تنظر إلىٰ أحكام الله ﷻ وتشريعاته بعين السمع والطَّاعة والتَّسليم، فتحتكم إليها وترضىٰ بما قضىٰ وقدّر لها. وإذا كان الواقع يخلط بين الشرع والعادة فيصل بالعادة أحيانًا إلىٰ درجة العبادة فإن السِّلْم الأسري المحكوم بضوابط الإسلام لن يكون حقيقة وواقعًا إلا إذا حقَّق الزَّواج أهدافه وغاياته والتي تنصُّ علىٰ أن «منها ما هو خُلُقي: بحماية الشَّباب من الفساد، وصيانة المجتمع من الفوضىٰ.

ومنها ما هو اجتماعي: بتوثيق العرىٰ -بالمصاهرة- بين الأفراد والجماعات، وبين القبائل والشعوب.

ومنها ما هو سياسي: بتقوية شوكة الأمة وتكثير عددها، لتستطيع مقاومة الأعداء الطامعين فيها، وتعويض ما تفقده من الشُّهداء دفاعًا عن ذمارها، أو جهادًا في سبيل نشر الدَّعوة إلىٰ الله تعالىٰ ...،

ومنها ما هو اقتصادي: باعتبار الزَّواج من عوامل توفير نفقات الحياة، فضلاً عن كونه وسيلة إلىٰ الغنىٰ والمال.

ومنها ما هو صحِّي: بصيانة الشَّباب من العادات السِّرِّية التي تستنزف حيويته، والأمراض الجنسية الخبيثة التي تفتك به.

ومنها ما هو روحي: باستكمال نصف الإيمان، وتيسير السلوك في طريق الله تعالىٰ، بقلب طاهر من النَّزعات، ونفس محصَّنة من الوساوس»[1].

(1) أهداف الأسرة في الإسلام ص19، 20.